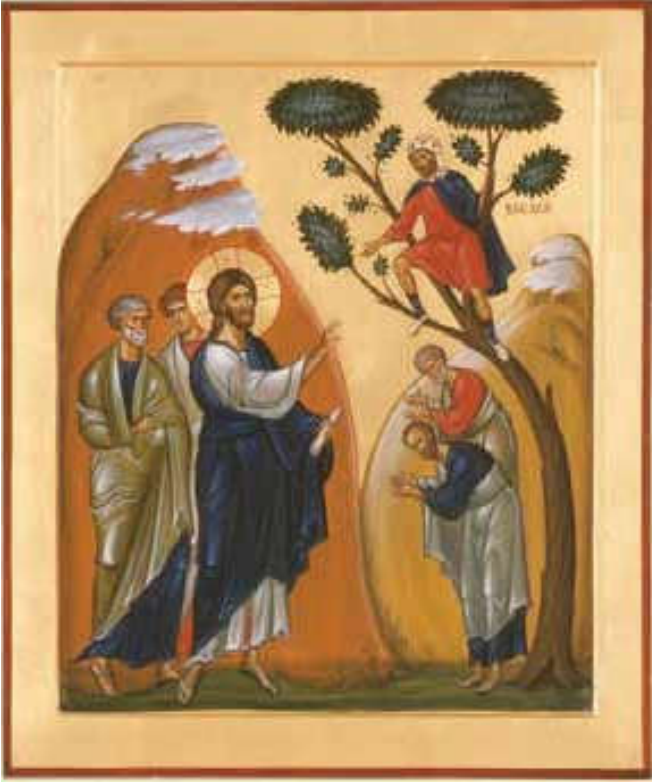


الفصل التاسع: دعوة متى



١- الاستقبال

قد نُفَكِّرُ أَنْ اللهُ يَخْتَارُ لِاتِّبَاعِهِ
أَشْخَاصًا كَامِلِي الْمَوَاصِفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ
وَالاجْتِمَاعِيَّةِ. وَيَفُوتُنَا أَنْ يَسُوعَ دَعَا
تَلَامِيذَهُ مِنْ بَيْنِ صِيَّادِي السَّمَكِ
وَالعَشَّارِينَ وَالْحَطَّاءَةَ وَعَامَّةِ الشَّعْبِ.
عِنْدَمَا نَعْمُرُ رَحْمَةَ اللهِ قَلْبَ الْإِنْسَانِ،
نُحَوِّلُهُ مِنْ إِنْسَانٍ عَادِيٍّ إِلَى إِنْسَانٍ مُبَدَعٍ
فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ. عِنْدَمَا نَخْلُقُنَا هَذِهِ
الرَّحْمَةَ مِنْ جَدِيدٍ، تُرْسَلُنَا إِلَى الْعَالَمِ
لِنُبَشِّرَ، لَا بِكِبْرِيَانَتِنَا وَإِنجَازَاتِنَا، إِنَّمَا
بِعَمَلِ اللهِ الْمُحِبِّ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ.

هل سبق لك أن اختبرت دعوة ما
في حياتك؟ هل وثق بك أحدهم، وعلقت عليك آماله في مشروع ما؟ كيف تصف وجودك الآن
هنا، بين جماعة الموعوظين، طالبي العباد؟ هل سبق لك أن اختبرت حب الله لك شخصيًا؟ وهل
انتماؤك للجسم الكنسي الجديد سيجعلك أكثر مشاركة بمواهبك مع غيرك، أم هو انخراط نفعي
فقط؟ هذا ما سيتطرق إليه موضوع اليوم، مُشَدِّدًا على الدَّعوة المسيحية، وعلى بعدها الجماعي
والكنسي.

٢- قراءة الإنجيل وتفسيره: دعوة متى (متى ٩: ٩-١٣)

٩ ومضى يسوع فرأى في طريقه رجلاً جالساً في بيت الجبابة يُقال له متى، فقال له: اتبعني!
فقام فتنبعه. ١٠ وبينما هو على الطعام في البيت، جاء كثير من الجبابة والخاطئين، فجالسوا
يسوع وتلاميذه. ١١ فلما رأى الفريسيون ذلك، قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع
الجبابة والخاطئين؟ ١٢ فسمع يسوع كلامهم فقال: ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب،
بل المرضى. ١٣ فهلاً تتعلمون معنى هذه الآية: إنما أريد الرحمة لا الذبيحة، فإنني ما جئت
لأدعو الأبرار، بل الخاطئين.

١.٢- الشرح

لا تقتصر قدرة يسوع الشفائية على المَرَضِ الخَارِجِيِّ فقط، إِنَّمَا كَانَ يَسْعَى دَائِمًا لِخِلَاصِ الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ الشُّرُورِ الْمَهْدَدَةِ لِخِلَاصِهِ. إِنَّ مَعْنَى اسْمِ يَسُوعَ «اللهُ الَّذِي يُخَلِّصُ» شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُ، مُظْهِرًا رَحْمَةَ الْآبِ الْكَبِيرَةِ لِلْعَالَمِ. هَذَا مَا يُظْهِرُهُ إِنْجِيلُ دَعْوَةِ مَتَّى الْعَشَّارِ (٩: ٩) وَالْمُجَادَلَةَ حَوْلَ جُلُوسِ يَسُوعَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَ الْخَطَاةِ (٩: ١٠-١٣).

تَشْبِهُ دَعْوَةُ مَتَّى (٩: ٩) دَعْوَةَ التَّلَامِيذِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوَّلِ (مَتَّى ٤: ١٨-٢٢): مَرَّ يَسُوعَ، رَأَى، وَدَعَا؛ قَامَ الْمَدْعُوُّ، وَتَبِعَهُ. لَا يَزَالُ يَسُوعُ يَمُرُّ فِي الْعَالَمِ وَيَدْعُو بِطَرِيقَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ النَّاسَ لِاتِّبَاعِهِ عَلَى طَرِيقِ الْخِلَاصِ. لَقَدْ اخْتَارَ صَيَّادِينَ، وَهِيَ هِيَ الْخَطِيئَةُ الْآنَ خَاطِيًا. فَالْعَشَّارُ هُوَ جَابِي الضَّرَائِبِ (نَوْعٌ مِنَ الْعُشْرِ) لِلدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ. وَكَانَ يُعْتَبَرُ خَاطِيًا لَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ بِسَبَبِ تَوَاطُئِهِ مَعَ الْمُحْتَلِّ الْوَثْنِيِّ وَبِسَبَبِ اخْتِلَاصِهِ لِقِسْمِ مِنَ الْأَمْوَالِ. لِذَلِكَ كَانَ يَتَّبَعُهُ عَنْهُ كُلُّ يَهُودِيٍّ مُحَافِظٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِرَحْمَةٍ وَأَحَبَّهُ، عَارِضًا لَهُ إِمْكَانِيَّةً مُسَاعِدَتِهِ فِي الْبِشَارَةِ. لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَتَّى أَحَدًا مِثْلَ يَسُوعَ؛ كَانَتْ دَائِمًا أَصَابِعُ الْإِتِّهَامِ مُوجَّهَةً إِلَيْهِ. أَمَّا يَسُوعُ فَيَعْلَمُنَا أَنَّ الْخَاطِيَّ يُصَلِّحُ بِالرَّحْمَةِ لَا بِالْإِدَانَةِ. نُشِيرُ أَنَّ لِمَتَّى اسْمًا آخَرَ وَهُوَ لَآوِي (مَر ٢: ١٤؛ لَوْ ٥: ٢٧)، وَكَلِمَةً مَتَّى تَعْنِي «عَطَاءَ اللَّهِ».

أَقَامَ مَتَّى لِيَسُوعَ مَأْدُبَةً دَعَا إِلَيْهَا كُلَّ رِفَاقِهِ. فَاتَّقَدَّ الْفَرِيْسِيُّونَ تَوَاجَدَ الْمَسِيحِ وَالتَّلَامِيذِ مَعَ الْخَطَاةِ. فَمَا كَانَ مِنْ يَسُوعَ إِلَّا أَنْ رَدَّ بِصُورَةٍ حَيَاتِيَّةٍ يَوْمِيَّةٍ وَبِاسْتِشْهَادٍ بَهُوشَعِ النَّبِيِّ. يَفْهَمُ الْجَمِيعُ صُورَةَ الْمَرَضِيِّ الْمُحْتَاجِينَ إِلَى طَبِيبٍ وَبِذَلِكَ يَكُونُ يَسُوعُ قَبْلَ ضَمْنِيًّا تَصْنِيفَ مَتَّى وَرِفَاقَهُ بِالْخَطَاةِ الْمَرَضِيِّ الْمُحْتَاجِينَ إِلَى الْمُعَالَجَةِ لَا إِلَى شَرِيعَةٍ تُدِينُهُمْ وَتَعَزِّلُهُمْ. وَهُنَا يَأْتِي الْاسْتِشْهَادُ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ: «أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً» (هُو ٦: ٦) لِيُوضِحَ أَنَّ مَا يَرْفُضُهُ اللَّهُ لَا الذَّبَائِحَ وَالْعِبَادَةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحَسَبِ الشَّرِيعَةِ، إِنَّمَا الطَّقُوسَ الْخَارِجِيَّةَ الْخَالِيَةَ مِنْ رَحْمَةِ الْقَلْبِ وَصَفَاءِ النِّيَّةِ. لَيْسَتْ مُجَالَسَةُ الْخَاطِيِّ مَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا تَقْدِيمُ ذَبِيحَةٍ مَعَ احْتِقَارٍ وَكُرْهِ لِلْآخَرِينَ.

٢.٢- التَّأْوِينُ

مَا يَرْفُضُهُ اللَّهُ هُوَ التَّصَرُّفُ الْحَبِيثُ وَالْمُرَائِي. يَفْرَحُ اللَّهُ بِكَ إِنْ كُنْتَ خَاطِيًا وَتُبْتَ، وَلَا يَهْتَمُّ اللَّهُ بِذَّبَائِحَ خَارِجِيَّةٍ نَاقِصَةٍ. إِنَّ الْبِرَّ الْحَقِيقِيَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ التَّلْمِيذِ هُوَ أَنْ يَقْرَنَ أَقْوَالَهُ بِأَفْعَالِهِ. لِذَلِكَ قَالَ فِي عِظَةِ الْجَبَلِ: «إِذَا كُنْتَ تُقَرِّبُ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَذَكَرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ عَلَيْكَ شَيْئًا، فَدَعْ قُرْبَانَكَ هُنَاكَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ وَادْهَبْ أَوَّلًا فَصَلِّحْ أَخَاكَ ثُمَّ عُدْ وَقَرِّبْ قُرْبَانَكَ» (مَتَّى ٥: ٢٣-٢٤).

يَمُرُّ بِكَ يَسُوعُ الْيَوْمَ وَيَدْعُوكَ لِاتِّبَاعِهِ. لَا يَهْمُ إِنْ كُنْتَ خَاطِئًا كَبِيرًا أَمْ مُؤْمِنًا مَعَ أَخْطَاءٍ بَسِيطَةٍ؛ الْمَهْمُ هُوَ التَّوْبَةُ وَالِدُخُولُ فِي مَشْرُوعِ الْمَلَكُوتِ. فَاللَّهُ يَخْلُقُكَ مِنْ جَدِيدٍ بِنِعْمَتِهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْكَ لِتُعْلِنَ حُبَّهُ وَغُفْرَانَهُ لِلجَمِيعِ، كَمَا عَامَلَكِ أَنْتِ؛ لِذَلِكَ عَلَيْكَ الْإِتِّعَادُ عَنِ كُلِّ حُبِّثٍ وَالْإِعْتِرَافُ بِخَطِيئَتِكَ وَالْإِنْخِرَاطُ بِالتَّلْمِذَةِ الدَّائِمَةِ وَرَاءَ الْمَسِيحِ.

إِفْهَمِ أَنَّ جَوْهَرَ الشَّرِيعَةِ وَالْقَوَانِينِ الدِّينِيَّةِ يَهْدُفُ إِلَى تَقْرِيْبِ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ لِعَزْلِهِمْ عَنْهُ وَعَنْ بَعْضِهِمْ الْبَعْضُ. فَالْإِنْخِرَاطُ يَعْنِي التَّكْبُرَ وَالْأَنْانِيَّةَ. فَضَيْلَتُنَا أَنَّنَا خَطَاةٌ تَائِبُونَ. نَحْنُ لَسْنَا نُحِبُّهُ الْكَامِلِينَ مِنَ الْمُجْتَمَعِ وَفِي الْكَنِيسَةِ. فَالَّذِي يَتَحَضَّرُ لِلْعِمَادِ يَفْهَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ تَدْرِيجًا عَنِ ذَاتِهِ وَعَنِ عَادَاتِهِ الْقَدِيمَةِ لِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْمَسِيحِ.

فَإِنْ قَبَلْتَ دَعْوَةَ التَّوْبَةِ هَذِهِ، تَنْصَبُ بِالْعِمَادِ إِلَى الْكَنِيسَةِ، أَيِ إِلَى جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْشَوْنَ مَسِيرَةَ الْقِدَاسَةِ تَحْتَ سُلْطَانِ الْأَسَاقِفَةِ، خُلَفَاءِ الرَّسُلِ. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ تَقْضِيهَا فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ، قَدْ يَدْعُوكَ الْمَسِيحُ مُجَدِّدًا لِتَكْرُسَ الْكَلِّيَّ فِي الْحَيَاةِ الْكَهَنُوتِيَّةِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ. لَا خَوْفَ مَعَ الْمَسِيحِ وَكَنِيسَتِهِ، إِنَّمَا فَرْحٌ دَائِمٌ، وَمِنْ إِنْخِرَاطٍ إِلَى إِنْخِرَاطٍ!

٣- التَّعْلِيمُ الْإِلَهَوِيُّ وَالرُّوحِيُّ: الْكَنِيسَةُ

مَنْ نِعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنَّهُ جَعَلَنَا كَنِيسَةً! حِينَ بَدَأَ يَسُوعُ رِسَالَتَهُ الْعَلَنِيَّةَ بَعْدَ أَنْ اعْتَمَدَ فِي نَهْرِ الْأَرْدُنِّ وَصَامَ فِي الْبَرِّيَّةِ، شَرَعَ يَدْعُو تَلَامِيذَهُ لِيَكُونُوا مَعَهُ، فَيُعَلِّمُهُمْ بِكَلَامِهِ وَبِأَعْمَالِهِ وَمَوَاقِفِهِ، بِسَهْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفْكِيرِهِ، وَيُودِعُهُمْ رِسَالَتَهُ لِيَكُونُوا هُمْ، بَعْدَ ضِعُودِهِ، كَنِيسَتَهُ الْحَاضِرَةَ فِي قَلْبِ الْعَالَمِ. فَمَعْرِفَةُ الْمَسِيحِ وَلَوْ أَنَّ فِي الْإِنْجِيلِ الْكَثِيرِ وَهُوَ كَنْزٌ كَبِيرٌ، إِلَّا أَنْ اخْتِبَارَ التَّلَامِيذِ أَوْسَعُ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ. لِذَلِكَ عَلَّمَ التَّلَامِيذَ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَتَلَمَّذُوا وَيُرَافِقُوا مُؤْمِنِينَ آخَرِينَ، مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ، تَحْمِلُ الْكَنِيسَةُ رُوحَ الْمَسِيحِ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَقُودُهَا لِتَبْقَى أَمِينَةً عَلَى وَدِيعةِ الْإِيمَانِ.

يُسَمَّى بُولُسُ الرَّسُولِ الْكَنِيسَةَ «جَسَدَ الْمَسِيحِ». دَخَلَ يَسُوعُ الْقَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ فِي مَجْدِ اللَّهِ وَلَمْ يَعُدْ جِسْمَهُ مَلْمُوسًا، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ لِلنَّاسِ أَنْ يَلْتَقُوهُ بَعْدَ الْآنِ، وَكَيْفَ هُمْ أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ وَيَتَعَرَّفُوا إِلَيْهِ؟ هَذِهِ هِيَ رِسَالَةُ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَعَكِسَ صُورَةَ الْمَسِيحِ فِي قَلْبِ الْعَالَمِ، وَأَنْ تُكْمَلَ خِدْمَتَهُ فَتَقِفَ إِلَى جَانِبِ الْمُتَأَلِّمِينَ، وَتُثِيرَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ وَمَعْنَاهَا، وَتَسَهَّرَ عَلَى حِفْظِ الْخَلْقِ وَكِرَامَةِ الْإِنْسَانِ، وَتُقَدِّسَ الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَحُلُولِ رُوحِهِ الْقُدُّوسِ.

وَكَمَا أَنَّ الْجَسَدَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، كَذَلِكَ نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى كَثَرَتِنَا، جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَكُلُّ مَنْنَا عَضْوٌ فِيهِ. أَيُّ لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا لِسَائِرِ الْأَعْضَاءِ وَلَهُ مِنَ الْمَوْهَبَةِ مَا يَكْفِي لِيَعْمَلَ بِدَوْرِهِ عَلَى بِنَاءِ رِسَالَةِ الْمَسِيحِ، مَعَ سَائِرِ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ.

وهكذا تَصِحُّ المعمودية دُخولاً في الكنيسة، إذ نلبس المسيح فنستقبلنا الجماعة المسيحية كواحد (كأفراد) من أبناء الله. ولهذا لا يحسن للمسيحي أن يعيش إيمانه وحيداً، أي بمعزل عن باقي الجسد. ولهذا تُصيحُ الإفخارستيا، أي القُدَّاسُ، أمراً بالغ الأهمية، فهي احتفالٌ بجسد المسيح، القرباني والكنسي. نلتئم حول الرب لتقدم معه ذبيحة الشكران، وهو يغسلنا بكلمته ويضمنا إلى جسده حين تناوله. ونصافح بعضنا بعضاً بالسلام الذي تبادله، ولا ننسى مساعدة الفقراء. كل هذا رأته الكنيسة بإلهام روح يسوع، وهو بالغ الأهمية وأساسي في حياة المسيحي.

تنظّم الكنيسة بتدبير رعاتها، من البابا، أسقف روما، إلى البطاركة والأساقفة. وهم بدورهم يتدبون الكهنة لخدموا إيمان الناس وفق تقسيمات جغرافية عامة، تُسمى كل منها «رعية». يحسن للمسيحي أن ينتمي إلى رعية واحدة بحيث، يتعرف الناس، وهم يتعرفونه، ومعا يسرون كعائلة واحدة، نحو الملكوت وفي خدمته.

٤ - للقراءة والتأمل: قراءة من القديس أغناطيوس الأنطاكي (+١١٠)

إلى كنيسة الرومانيين

من أغناطيوس، المُلقب توفور (حامل الله)، إلى الكنيسة التي لقيت رحمة من جلاله الأب العليّ ويسوع المسيح ابنه الوحيد، إلى المحبوبة والمستضيئة بمشيئة ذلك الذي أراد كل ماثل في الوجود، بحسب الإيمان والحب من أجل يسوع المسيح إلهنا؛ إلى المُصدرة في الصقع الروماني، الخليقة بالله، الخليقة بالكرامة، الخليقة بأن تدعى طوباوية، الخليقة بالفلاح، الخليقة بالطهر، مُصدرة المحبة، حاملة سنة المسيح، حاملة اسم الأب؛ إياها أُحيي، باسم يسوع المسيح ابن الأب؛ إلى المُتحدّين جسداً وروحاً بجميع وصاياها، المُتمثلين على غير تزعر من نعمة الله، المُنتقين من كل لونٍ غريب، هم أتمنى يسوع المسيح إلهنا كل فرح لا لوم فيه.

أنا أكتب إلى جميع الكنائس، وإلى الجميع أنهي أني على قلب رضي ذاهب أموت لله، على ألا تصدوني. سألتكم ضارحاً، لا تأخذنكم في سبيلي شهامة لا محمد. دعوني أصير طعاماً للوحوش تمكّني من لقيا الله. إني حنطة الله، فتطحني أنياب الضواري لأكون للمسيح خبزاً نقياً. بل أغروا الوحوش بي أن تُصبح قبري، ولا تُبقي من جسدي شيئاً، حتى لا أكون في رقدتي الأخيرة عالّة على أحد. حينئذ أمسي حقاً تلميذ يسوع المسيح، يوم لا يعود العالم يرى حتى جسدي. استعطفوا المسيح على أن أصبح بالآلة أضحية لله. لست بتال عليكم أو امر كبطرس وبولس؛ هما كانا رسولين، وأنا فمبسل؛ هما كانا عاتقين، وأنا حتى الآن فرق. ولكنني إذا تألمت، صرت معتقاً ليسوع المسيح، وولدت فيه ولادة جديدة حرة.